التجربة البصرية في المعادلة الشعرية المعاصرة

عبدالرحمن مراد

تعتمد الصورة الشعرية على العناصر الحسية في البناء العام، وتلعب الحواس دوراً كبيراً في التركيب والتأليف والتناغم للصورة، فالايحاء الحسي أكثر تأثيراً في التعبير وهو الأوسع استخداماً في البناء الفني وبالضرورة لابد أن يتآزر مع التأمل وينصهر في الموضوع ليكون أكثر بياناً لما يتشكل في الوجدان فالتصوير - كما يذهب الكثير - هو رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة، وهي لاتخرج عن مرجعيتها البصرية أو السمعية أو غيرها من الحواس من حيث إعادة إنتاج المشهدية للأشياء والأثر النفسي لها من خلال الصيغة التأملية التفاعلية في المنظومة الفكرية التي في الغالب تتسم بالحرية والتنظيم وهو الأمر الذي يجعل المبدع قادراً على التحكم من خلال الوعي بالوظيفة البصرية للبنية والتأليف بين الأبعاد الفنية للنص فيوازن - بالضرورة - بين الفكرة والصورة من حيث المعادلات الجمالية الناشئة من التحليل والتأليف والتركيب والتعديل، ومع طول المران يتمكن المبدع من السيطرة على التجربة النصية ومدلولاتها الجمالية.

والتجربة البصرية في الفن هي من أكثر الحواس حيوية في التصوير لذا نجد الشعراء يميلون إلى الاعتماد عليها في نصوصهم وهي تحضر في النصوص الشعرية منذ القدم في بنيتها التشبيهية أو الاستعارية أو المجازية، وقد يجهد الشاعر نفسه لصياغة ما يماثل آخر كبشار ابن برد الذي تروي عنه كتب الأدب أنه كان ينوي مماثلة أمرىء القيس في إحدى صوره البصرية المركبة والواردة في قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والحشف البالي

وما يزال بشار يجهد ذهنه حتى قال:

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فالصورة في تشكيلاتها البلاغية - وفق مقاييس ذلك الزمن - كانت مسيطرة على إشتغالات الشعراء واهتماماتهم وما تزال التجربة البصرية هي من حيث الاشتغال النصي والاشتغال الشعري بما تفرضه العلاقة الخفية والمتلازمة بين المرئي واللا مرئي وبين الروحي والمادي في البنية الاستعارية البصرية، إذ أصبحت أكثر حضوراً وحيوية وأكثر شعرية من حيث قدرتها على التحرك في الأفق التأويلي ومناجاة أقاصي الوعي عند المتلقي يقول: إروين إدمان أن الشاعر في الصورة التي يبدعها يعود إلى وظيفة أخرى للصورة وهو تحطيم الصور والمعاني المتوارثة في عقولنا التي انبعثت منها وترتب عليها ليستعيض عنها بصور أخرى أكثر جدة وحداثة تصبح تجربتنا بمقتضاها أكثر حيوية وحدة وتأثيراً إلا أن من الجدير الإشارة إليه هنا عدم الاقتصار على إستعادة البهاء الحسي للأشياء وتصوير تجربة الشاعر فحسب، وإنما ليبعث الحياة والحيوية والنمو الصحيح فيها بعد ربطها المحكم بعواطفنا وآمالنا ومخاوفنا الداخلية وتقاليدنا ورغباتنا وشكوكنا وهواجسنا من الصورة التعبيرية غير المباشرة عن حياتنا الصاخبة. وتتوزع الحركة في التجربة البصرية للنص من حيث الانتظام والانقطاع والتواتر والتناوب بالاستناد على البنى التركيبية والتأليفية بين مختلف التفاعلات والعناصر المحدثة للحركة الداخلية - التفاعل الكيميائي للنص - وقد تحدد تلك الحركة في الأبعاد التالية:

- التفاعل الفطري
- التفاعل المنبعث من الطبيعة والكون
- التفاعل الكامن في الأشياء.

وخلف تلك القيم التفاعلية تكمن الشعرية البصرية للنص الحديث وتظهر من خلال خاصية الحركة الداخلية التفاعلية في البنية النصية البلاغية وخاصية الحركة الخارجية القائمة على التذوق وهي العملية التي ينتج عنها الإدراك فالدهشة، فالانجذاب إلى العمل الفني النصي وبما يحقق المتعة من خلال الصيغة التفاعلية بعملية التوحد والاندماج مع التجربة الجمالية.

فالفن في الشعرية المعاصرة قد تجاوز نمطيته البسيطة التقليدية وذلك باعتماده لغة فنية حديثة ترتكز في مقامها الأول على مفردات وصيغ تشكيلية تستوعب مفهوم الزمن في حركته وفق الصيغة التفاعلية للأشياء، وبحيث تنتج عملية توليد الأشكال حركة بصرية تتحرك في أفق التأويل وتناجي أقاصي الوعي عند المتلقي من حيث توزيع المساحات، وتوازن الكتلة النصية والفراغ داخل التصميم البنائي للتركيب، ودلالات علامات الترقيم، وحجم الحرف، ومثل هذا الاتجاه للتجريب البصري في المعادلة الشعرية نجده أكثر تمظهراً عند شعراء المغرب العربي الذين يعتمدون الحركة البصرية في التأليف التشكيلي للنص، ومن خلال وحدة التركيب للنص يتمكن العقل من تحديد رؤيته للعمل الشعري / أو النص / التي ترتكز على خواص التأمل والإدراك والملاحظة، وتصبح المساحة الفكرية لامتناهية من حيث فهم وتحليل وتأويل النص.

إذن ثمة علاقة جدلية بين البناء النصي في الشعرية المعاصرة والتأليف التشكيلي له وبين عناصره البصرية وقدرته التفاعلية في الزمان والمكان - فوفق المحددات التي أسلفنا ذكرها - وهي دالة على القيمة الجمالية والإبداعية للحركة البصرية في الشعرية المعاصرة.

وقد نشهد تطوراً يرتبط بالتقنية الحديثة ووسائط الاتصال بعد أن يفقد النص سلطته.

إذ أن التأمل في الصيغة البنائية والشكلية للنص الألكتروني التفاعلي يجد طغيان الصورة البصرية التي تساعد المنظومة البرمجية على تأليفها وتكوينها لتكون نصاً أو تعبيراً عن حالة إنفعالية كما بتنا نألف ذلك في شبكات التواصل الاجتماعي في ذلك العالم الافترضي الذي نستغرق فيه.

فالنص التفاعلي الألكتروني بكل تموجاته الحديثة يعمل على تفتيت سلطة النص من خلال العملية الانفلاتية وإنسيابية الحركة الفطرية التي تتحرر أيضاً من سلطة العقل، لذلك نجده يعتمد على التقنية البرمجية ويبتعد عن العمليات الذهنية الإبتكارية والإبداعية مما يجعل الصورة البصرية حاضرة بقوة، وربما كانت أقل إبداعاً وأقل شعرية وبالتالي أقل تأثيراً لكون البرمجية كسرت حاجز الخاصية الإبداعية والإبتكارية وخاصية التميز لتجعل الكل ممن يستخدم التقنية الالكترونية قادراً على صناعة النص التفاعلي.. ونهايات الأشياء ربما كانت بمثابة العودة إلى البدايات.

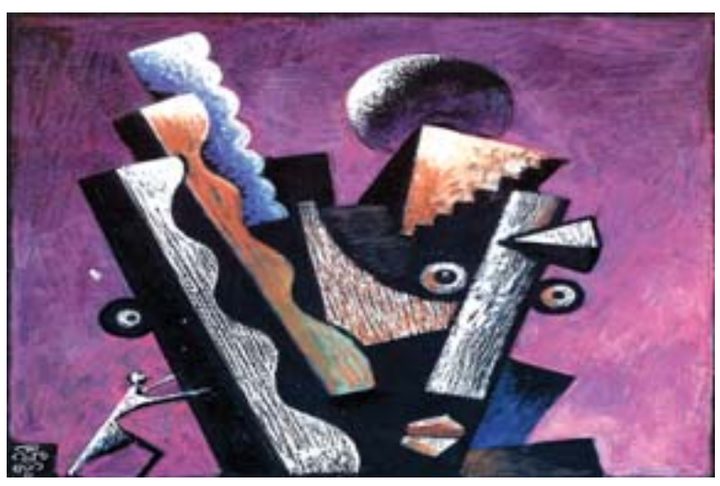

لا تحزن

سعيد بامكريد

ما أروع الكتب وأجملها ما أصدقها وأنفعها وأنبلها لذا كثير من حملنا بعضها في الحل والترحال خصوصا تلك التي تجمعنا بها مودة ورفقة وحميمية الراشدين من الناس تحتل قراءة الكتب لديهم مكانا واسعا في خارطة وقتهم كما تتسع مساكنهم وبيوتهم لتلك المكتبة المنزلية الأنيقة المرتبة التي غالبا ما تشرف عليها سيدة المنزل ولدى هؤلاء أيضا برنامج دقيق للقراءة المتنوعة يلتزمون تنفيذه بدقة وعناية فائقة كل يوم يبدأونه الخامسة فجرا فيستقبلون يومهم الجديد بمعانقة الخطاب الإلهي وآياته الكريمة من كتابه العظيم ما أجمله من خطاب وما أروعه من عناق وما أعظمه من كتاب.

حديثنا هنا عن كتاب حمل عنوانا جميلا هو لا تحزن للداعية الإسلامية الدكتور عائض القرني حفظه الله هذا الكتاب تمت طباعته عشرات المرات وزادت النسخ عن عشرين مليون نسخة ياترى ما الذي يميز هذا الكتاب لهذا الدرجة.

شخصيا سحرني هذا الكتاب كثيراً لدرجة مكوثه معي دائما قرأته ما يقرب من أربع إلى خمس مرات وفي كل مرة أجد متعة أفضل من سابقتها بل وكثيرا ما حملته معي رفيق سفر في رحلاتي المختلفة ومع الوقت أصبح عندي بدرجة الولع والحميمية لا شك أنها تلك العلاقة العجيبة التي تتسلل إلى دواخلنا بهدوء وسكينة ولا تدري إلا وقد أصبحنا في أسرها إنها حالة الحب وسريان كهرباء المحبة في النفس البشرية فالإنسان يرغب في رؤية حبيبه دائما، وكذلك هذا الكتاب الذي أحببته كثيرا وهو الكتاب الأنيق في ألفاظه البهي في عباراته الصادق في محبته العميق في جوهره ومضمونه القريب كل القرب من دواخلنا وأفئدتنا لأنه يدعونا للقرب من الله.

كتب الشيخ عائض القرني في مقدمة كتابه كلاما رقيقا جميلا موضحا المقاصد والأهداف التي دفعته لتأليف هذا الكتاب فيقول:

إن المقصد من الكتاب جلب السعادة والهدوء والسكينة وإنشراح الصدر وفتح باب الأمل والتفاؤل والفرح والمستقبل الزاهر وهو تذكير برحمة الله وغفرانه والتوكل عليه وحسن الظن به والإيمان بالقضاء والقدر والعيش في حدود اليوم وترك القلق على المستقبل وتذكر نعم الله تعالى.

من خلال ما ذكرنا نجد أن هذا الكتاب يتقدم بخطوات واثقة نحو عقل وضمير الإنسان وذلك لأسباب ترتبط في المقام الأول بمشاعر وأحاسيس الإنسان المسلم التواق للتواصل مع خالقه وكذا بسبب محتويات وأفكار وتوجهات الكتاب المليئة بالدعوة إلى التفكير الجاد والعميق والتمسك بالقيم النبيلة هذا الأمر ينتج عنه في تقديري عناق نبيل بين دواخل القارئ المسلم ومقاصد المؤلف مما يؤدي إلى متغير حقيقي في السلوك الإنساني نحو الخيرية عموما والإقبال على الله شكرا ومحبة واعترافا بنعمه التي لا تحصى.

في الحقيقة من الصعب اعتباره كتاب وعظ وإرشاد مع إن البعض يحسبه كذلك ولا ضير لكنه حسب تقديري كتاب محبة لأنه أشبه بهمس القلوب وتلاقح العقول وتقارب الأفئدة.

إن التجوال في مضمون وصفحات الكتاب والانغماس في محتوياته سرعان ما يؤثر في نفس القارئ ومشاعره فيدفعه لتغيير سلوكه نحو الأفضل لذا يمكن النظر إليه بوصفه كتابا في علم النفس الإسلامي بما هو نبيل في السلوك ورفيع في الثقافة ونافع في العمل، فالمجتمع المسلح الحق هو مجتمع العمل النافع والخلق السليم.

إذا تأملنا جديا عناوين مواضيع الكتاب نجدها أشبه بـ"روشتة" علاج نفسي حيث يبدو الشيخ القرني وكأنه طبيب نفساني عالي التأهيل بالغ الحرفة، أنظروا إلى هذه العناوين:

يا الله.. لا تنتظر شكرا من أحد.. إن مع العسر يسرا.. أمن يجيب المضطر إذا دعاه.. الإيمان هو الحياة.. لا تتقمص شخصية غيرك لا تحزن من الشدائد.. وخير جليس في الأنام كتاب.. ما فات لن يعود.. لا تعجب من الأشرار وكثرتهم.

هذه العناوين وغيرها تبدو وكأنها أدوية وعلاجات للنفس البشرية إحباطها وقلقها خوفها وتوترها حزنها وغضبها ضعفها وسخطها حقا يستحق الكتاب القراءة مرة ومرتين وأكثر أنه عظيم الفائدة يكفي أنه يمنح النفس البشرية راحة كبيرة عند قراءته ويمنحها الكثير من الاطمئنان والهدوء والسكينة.

لا شك أن الشيخ عائض القرني سكب في هذا الكتاب عصارة تجاربه وخبراته في الحياة إضافة إلى مواقفه فيما تحيط به من أمور الدنيا ومشاهدته المختلفة أفراحها وأتراحها..

لا تحزن ليس مجرد كتاب وحسب بل هو في الواقع دعوة بالغة ورسالة عامة لمواصلة الحياة التي هي في الأصل حق إنساني وهبة من الخالق لتأكيد ربوبيته وبعودينا لذا يجب أن نعيشها ونحياها كما يحب ويرضى الخالق جل وعلا.

إلـهـانـيـات

ليلى إلهان

يسقط رأسه
إلى يد عرافة تضج بالقبح
تلك اليد هي من كانت تتلو عليه
التعاويذ / القسوة / الحنان
تتلو عليه حب فتاة لا تموت
بمجرد أنه أحبها
***
يسقط رأسه
من أعلى شجرة الجنة
إلى يد الغيب
يسقط كي تتلو عشقك إليّ
***
يسقط رأسه
من مرآة فتنتي
يسقط بثياب مهرج
وحذاء طفلة تعلو الفرح
***
يسقط سعيداً من حزنه
سعيداً من هزائمه / سعيداً بي
لأنني لم أصدق غروره
يسقط راقصاً على وجعه
وانتصاري بجائزة العشاق .
***
يسقط
لا تحلق أكثر إليه
ربما تعود إلى مسارك
ترقص بفوضى
وتطير منك العصافير
تطير أحلامك الصغيرة معه للتو .
***
يسقط
لأنك لن ترجع معه للسعادة
ربما كان هذا اتفاق الصباح عليك
واتفاق النساء في غدرك
***
يسقط
لا تحلق أكثر حاول تجاوز ضجرك
سرك العجوز
قبعتك الضيقة
التي تحبس أفكارك الذكية تحتها ..
***
يسقط و تسقط
تلك الشتائم التي لن تستعين بها
في تهذيب شذوذك
أو في تهذيب حبيبتك ذات الشفاه الوقحة.
***
يسقط
وأنت لن تتنازل بعد عن حرمانك لأحد غيرك
لأنك بصراحة لا ترغب في إيلام الغيب .
***
يسقط و تسقط
حبيبتك التي مازالت كسيجارة
ترغب في نفخها كلما شعرت بالضيق
أو عندما تتصاعد غيرتك عليها
ربما لأنك لا تليق بمظهرك الجديد
وهكذا تراودك الخيبات
لقلبك ذي الثقوب السمينة .

الفنان رشاد السامعي لـ«الثورة» :

الكاريكاتير من الأدوات الفاعلة في تغيير المفاهيم الخاطئة والسلوك غير السوي

إذا تأملت خطوط الكاريكاتير في لوحة ما فإنك ستدرك بأن دموع رسام الكاريكاتير تسير من بين أصابعه إلى هدف نبيل وغاية سعيدة ينتظرها المجتمع ، فهو وحده من يجيد تحويل الدمع والألم إلى خطوط هزلية ساخرة تجبر القارئ على الضحك والتبسم بمشاعر لا يمكن إخفاؤها ، اللوحة التي تترك في لسانك قطعة من الشيكولاته وتضعك وجهاً لوجه أمام المستقبل بمجرد قراءتها فقط ، انه الكاريكاتير سيد الفنون وأكثرها تواضعاً .

الثورة / محمد غبسي

الفنان رشاد السامعي من أبرز فناني الكاريكاتير في اليمن بخطوطه التي لم تقف عند القضايا المحلية بل وتمتد بحرفية ونجاح إلى العربية والعالمية ، بلوحاته التي تزدحم بالأفكار الساخرة ويزدحم الواقع بإمضائه الذي أصبح معروفاً في بيئة صحفية من الصعب النجاح فيها...

يحدثنا الفنان رشاد السامعي عن الكاريكاتير قائلاً " الكاريكاتير من الأدوات القوية والفاعلة في تغيير المفاهيم الخاطئة أو السلوك غير السوي للفرد أو المجتمع .. ويمتلك من المقومات ما جعله يتسيد بقية الفنون في إيصال رسالته ومدى التأثير الذي يحدثه .. فلوحة الكاريكاتير سريعة الانتشار سريعة الاستيعاب و يبقى في ذاكرة القارئ لمدة أطول وهو أيضا ملك الجميع ويصل للجميع المتعلم والأمي والصغير والكهل "

ويؤكد على أن النجاح يعتمد على نوعية الكاريكاتير وطريقة الفنان في

معالجة القضية التي يتناولها و يشتغل على حلها ويعتمد على مدى مصداقيته وجديته في نقد ظاهرة ما ومدى الجهد الذي بذله في اختيار مشهد الكاريكاتير سواء كان سياسياً أو اجتماعياً أو غيره ..

ومن أجل النجاح أيضاً وفي سبيل وخدمة المجتمع بكل فئاته يقول مدركاً لعواقب كثيرة قد تعترض رسام الكاريكاتير و تعود عليه بالفشل وتجبره على عض أصابع الندم : يفترض بالفنان أن يعي خطورة الكاريكاتير وأهميته في نفس الوقت ، أقول هذا لأني قد وقعت في ما أحذر منه هنا فكانت النتائج عكسية هذا في القضايا الاجتماعية فما بالك في القضايا الكبيرة الأكثر خطورة .

على سبيل المثال الرسم الذي يذكي روح الطائفية أو العنصرية أو القدح والتحريض و المواضيع الدينية الحساسة كل هذه القضايا وغيرها إذا لم تطرح بطريقة صحيحة ومدروسة تكون نتائجها كارثية ربما دون أن يشعر الرسام بما أحدثته فرشاته " ولأن الكاريكاتير رسالة صامته تخاطب وجدان القارئ ومشاعره و يعتبر لسان الضعيف الذي يعول عليه في مواجهة الشر ومقارعة الظلم فإن رسم الكاريكاتير لم يعد مجرد هواية فالرسام يعرض نفسه للخطر نصرة للحق وهذه تضحية جسيمة ونعلم أن هناك كثيراً من الرسامين تمت تصفيتهم وهناك من تم اعتقالهم وآخرون فقدوا أعمالهم أو تعرضوا للأذى بسبب أفكارهم المشحونة بهم وآلام المواطنين البسطاء ، فالكاريكاتير أحيانا يكون مدوياً ومفزعاً للطغاة والفاسدين وهذا ما يجعل رسام الكاريكاتير عرضة للخطر خاصة في مجتمعات العالم الثالث الذي ما زالت تحكمه العصبيات والثارات وصراع النفوذ والمال والسلطة وما زال يزحف ببطء نحو ديمقراطية حقيقية تسمح للجميع أن يعبروا عن أرائهم دون خوف ودون أن يتعرضوا للمسائلة أو للأذى ويعرف السامعي رسام الكاريكاتير بأنه " هو في الأول والأخير فنان والفنان اليمني تحديداً يحتاج إلى دعم ورعاية وتقدير بما يمكنه من التفرغ لهذا الفن بحيث لا ينشغل بعمل آخر أو يضطر للبحث عن مصادر عمل يحسن بها الدخل تلبية لإحتياجاته الفنية والشخصية والعائلية خاصة الرسامين الذين يعملون لصحف يومية تستنزف الكثير من أفكارهم وجهدهم مقابل مبلغ زهيد جدا ".

ولم يخف السامعي حاجة الرسام الى الإلمام بالعمل الصحفي خصوصاً وأن الكاركاتير مادة صحفية مهمة إضافة إلى كونه عملاً فنياً يجبره على الإحتكاك الدائم بالفنانين من ذات التخصص لتبادل الخبرات من خلال إقامة المعارض الجماعية والفردية داخلية وخارجية ، وكذا حاجته لاستخدام التكنولوجيا والانترنت وتقنيات الرسم وبرامجه التي تتطور كل يوم ، ويتساءل : متى تجري مسابقات داخلية محترمة تخلق لدى رسامي الكاريكاتير روح المنافسة والتحدي فينتج كل منهم أفضل ما لديه ؟

ويضيف إلى قائمة حاجات رسام الكاريكاتير نقطة مهمة يعتبرها ماسّة وهي العمل في صحافة نظيفة تقدس رأيه ولا تفرض عليه إملاءات و تقايضه بالمقابل لأن هناك بعض الصحف تتلاعب بالفكرة دون إذن الفنان فتضيف ما تشاء و تشطب وتعدل حسب هواها .

ولإيضاح وتلخيص حاجة رسام الكاريكاتير يقارن مجبراً بين الفنان اليمني وشقيقه في دول الخليج قائلاً بأن بعض الرسامين في السعودية يتقاضى ثلاثين ألف ريال سعودي مقابل ثلاثين لوحة فيما الكاريكاتيري اليمني في أحسن الظروف يحتاج إلى ثلاث سنوات كاملة ليحصل على نفس المبلغ الذي يحصل عليه زميل مهنته السعودي خلال شهر واحد فقط !

علماً بأن الأفضلية الفنية والمهنية للفنان اليمني من نواح كثيرة أبرزها الخطوط والأفكار والقضايا التي يتبناها في لوحاته .

ولأن الفارق كبير جداً حتى مع تقدير وضع البلدين يرجو ألا نتعذر بوضعنا الاقتصادي ونحن نعرف جيداً كيف تستنزف خزينة الدولة ولمن تذهب خيرات ومقدرات الوطن بينما المبدعون يعانون الكثير من التهميش والضغوط النفسية التي أجبرت بعضهم إلى رمي الفرشاة جانباً وترك الموهبة فتنقطع علاقته بالفن بسبب هذا الوضع الذي يناقض نفسه بشكل صارخ .

ويختتم الفنان السامعي حديثه عن واقع الكاريكاتير ودوره والصعوبات التي تحد من إمكانياته بثقة المبدع المُحب المحترف في رسم الأمل بأن رسام الكاريكاتير في اليمن سيستمر لأنه صاحب قضية ومتعطش للنجاح والتغيير ولديه من الإصرار ما يكفي للمنافسة عربيا ودولياً رغم كل الظروف التي ذكرها سابقاً .